صفات الداعية
من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
عند شيخ الإسلام ابن تيمية

د٠ بدر محمد الدريس (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. وبعد:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات التي تميزت بها الأمة المحمدية عن سائر الأمم، قال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران:١١٠]. وأمر تعالى جماعة المؤمنين أن تتخذ من نفسها أمة تكون مهمتها القيام بالأمر والنهي، فقال تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران:١٠٤]. وقد ذم الحق تبارك وتعالى أقواما لم يقوموا بهذه المهمة وتقاعسوا عنها فقال {كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ}[المائدة:٧٩].

إن شيخ الإسلام ابن تيمية له مكانته العلمية، وأثره البالغ في شتى مجالات العلم، -فقد كان عالما عاملا في حياته- سواء الفقهية منها، أو العقدية والأخلاقية، وهذه الثروة الضخمة التي تركها لمن جاء بعده، أصبحت مرجعا يرتوي منها الظمآن في مختلف العلوم الشرعية، ولا يستغنى عنها من رام

(*) الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية - قسم الدراسات الإسلامية- الهيئة العامة للتعليم التطبيقي.

الاستبصار وطلب الحق بالدليل، ونحن أولى الناس في مجالنا الدعوي بهذا، ومن خلال البحث عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية في دعوته، نجد شيخ الإسلام رحمه الله قد خط وسطر في كتبه صفات مستنبطة من الكتاب والسنة ينبغي أن يتحلى بها الداعي اقتداء بأنبياء الله ورسله، ومن هذه الصفات العلم، والرفق، والصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهميتها اعتنى بها العلماء شرحا وتعليقا واستنباطا، إذ قال رحمه الله: "لا بد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر، والنهي والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبا في هذه الأحوال"(١). ولأهمية هذه الصفات يقول الشيخ المنجد: "من أهم الأشياء في الدعوة أمورٌ ثلاثة: العلم قبلها، والرفق معها، والصبر بعدها... هذه من أهم المهمات في عالم الدعوة إلى الله.."(٢). وحول هذه الأمور الثلاثة – (العلم، الرفق، الصبر) – سيدور بحثنا عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية من خلال مفهوم الأمر والنهي عند شيخ الإسلام، وأثر ذلك على شخصية الداعية، ووسمته بـ" صفات الداعية من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شيخ الإسلام ابن تيمية ". والله أسأل التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

التحلي والتخلق بالصفات الحميدة مطلب شرعي، فكيف إذا تعلق الأمر بالداعية.

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ص٢٠، ٢١)، الاستقامة، (٢/٢٣٣)، مجموع الفتاوى (٢٨/١٣٧).

(٢) محمد صالح المنجد، دروس الشيخ المنجد (٣/٢٥٤).

مكانة شيخ الإسلام ابن تيمية، في التراث الإسلامي، وتأثيره البالغ في الدعوة إلى الله.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع الدعاة.

ضرورة الوقوف على صفات الداعية التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال كلامه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ للاستفادة منها في عصرنا الحاضر.

الداعية إلى الله يحتاج إلى تكوين ذاته تكوينا تاما، ولا يكون ذلك إلا باتصافه بصفات العلم والرفق والصبر.

تبصير الداعية بوسائل وأساليب وطرق التحلي بالعلم والرفق والصبر في الدعوة إلى الله تعالى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون الداعية هو الركن الأساسي في الدعوة إلى الله تعالى، إلا أنه يوجد من قلد نفسه لذلك دون التحلي واكتساب الصفات التي يجب توافرها في الداعية، سواء كان عالما أم جاهلا بها، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إليها وأكد أهميتها، وهذه الصفات ينبغي أن يتحلى بها الدعاة ليحققوا ما يصبون إليه من نجاح في دعوتهم إلى الله تعالى.

تساؤلات البحث:

ما مفهوم صفات الداعية والدعوة إلى الله في اللغة والاصطلاح؟

ما مفهوم صفة العلم، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية؟

ما مفهوم صفة الرفق، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية؟

ما مفهوم صفة الصبر، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأثرها على شخصية الداعية؟

أهداف البحث:

تأتي أهداف البحث للإجابة عن الأسئلة الواردة في مشكلة البحث، وهي كالآتي:

بيان مفهوم صفات الداعية في اللغة والاصطلاح.

بيان مفهوم صفة العلم، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية.

بيان مفهوم صفة الرفق، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية.

بيان مفهوم صفة الصبر، وأهميتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية.

حدود البحث:

استنباط صفات الداعية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (العلم، الرفق، الصبر).

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت الحديث عن صفات الداعية، لكن بالاطلاع عليها حسب ما وقفت عليه؛ تبين لي أنها قد خلت من الحديث عن الارتباط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهذا ما يمثل جدية البحث. ومن تلك الرسائل ما يلي:

" من صفات الداعية" لمحمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: تحدث الصباغ عن الصفات العامة التي يشترك فيها الداعية وغيره، ولم يتطرق للحديث عن صفة الصبر، واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية المستنبطة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مفهومه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي صلى الله عليه وسلم" لأحمد بن علي عبد الله الخليفي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: اختصاصه بالحديث عن الصفات المستنبطة من سير صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية المستنبطة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مفهومه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"الصفات الأساسية للداعية المسلم" لأحمد العدناني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى -كلية الشريعة- ١٣٩٨هـ.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: هناك الكثير من التشابه بينه وبين بحثي، لكن اختص بحثي بالحديث عن الصفات من خلال مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"الداعية إلى الله: أخلاقه- صفاته- منهجه- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في ضوء القرآن والسنة" لسيد أحمد جمعه سلام. مكتبة الإيمان- المنصورة، مصر. ٢٠٠٨م.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: اعتمد البحث على منهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع دمج صفات الداعية في ضوء القرآن والسنة. واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية من خلال مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية" عابد بن عبد الله بن معيوض الثبيتي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

أوجه التقارب: الاستنباط من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

أوجه الاختلاف: اختص البحث بالحديث عن القواعد والضوابط المتعلقة بفقه الدعوة. واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية من خلال مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"الداعية والمجتمع" لأحمد محمد عبد الحفيظ، جامعة بنغازي -كلية الآداب والعلوم بالمرج- مجلة العلوم والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨م.

أوجه التقارب: الحديث عن الداعية.

أوجه الاختلاف: اختص بالحديث عن الجوانب الاجتماعية والشرعية والتاريخية التي تحيط بالداعية للاستفادة من ذلك عبر ضرب الأمثلة من سنة النبي صلى

الله عليه وسلم. واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية من خلال مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"مواصفات الداعية" لأحمد أحمد غلوش، الجامعة الإسلامية –دار العلوم– الهند، ٢٠٢٣م.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: اختص بالحديث عن الصفات المتعلقة بالإيمان والصدق وغير ذلك من مكارم الأخلاق، واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية المتعلقة بالعلم والرفق والصبر من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"صفات الداعية الإيجابية نموذجا"، لزينب محمد عثمان، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة معالم الدعوة الإسلامية، ٢٠٢٢م.

أوجه التقارب: الحديث عن صفات الداعية.

أوجه الاختلاف: اختص بالحديث عن إتقان مهارات الخطاب الدعوي، والصفات الإيجابية التي يجب أن يتحلى بها الداعية، واختص بحثي بالحديث عن صفات الداعية من خلال مفهوم شيخ الإسلام ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إلى غير ذلك من البحوث والرسائل التي تناولت الحديث عن صفات الداعية، إلا أن جميع ما ذكرته وما لم أذكره بالاطلاع عليه قد خلت من التطرق إلى استنباط تلك الصفات عند شيخ الإسلام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثر تلك الصفات على شخصية الداعية، وهو ما امتاز به بحثي.

منهج البحث:

اتبعت في كتابة هذا البحث المناهج التالية:

المنهج الاستقرائي: قمت باستقراء صفات الداعية من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وما كتب حولها.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل تلك الصفات من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شيخ الإسلام.

المنهج الاستنباطي: القائم على استنباط صفات الداعية من خلال مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرها على شخصية الداعية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

* **المقدمة:** وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

* **المبحث الأول: دلالات مصطلحات البحث، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: مفهوم الصفات في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: دلالة الدعوة في اللغة والاصطلاح.

* **المبحث الثاني: الصفة الأولى: العلم وأثره على الداعية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: مفهوم صفة العلم في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: صفة العلم في الدعوة إلى الله من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: أثر الوصف بالعلم على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* **المبحث الثالث: الصفة الثانية: الرفق وأثره على الداعية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: دلالة صفة الرفق في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: صفة الرفق في الدعوة إلى الله من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: أثر الوصف بالرفق على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

*** المبحث الرابع: الصفة الثالثة: الصبر وأثره على الداعية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: دلالة الصبر في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: صفة الصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: أثر الوصف بالصبر على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول

دلالات مصطلحات البحث

المطلب الأول : مفهوم الصفات في اللغة والاصطلاح

صفات الداعية مركب إضافي مكون من شقين: القواعد، والداعية. ولكل لفظة منهما دلالتها الخاصة بها من حيث اللغة والاصطلاح، وبإضافتهما تعطيان معنى آخر، وتوضيح ذلك ما يلي:

أولا: الصفات في اللغة:

صفات جمع صفة، وهي في اللغة لفظ مرادف للفظ "نعت"، قال المناوي: "الصفة: لغة: النعت"(١). فالواو والصاد والفاء أصل واحد وهو التحلية....والصفة الأمارة اللازمة للشيء(٢). وقال ابن منظور: " وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاه"(٣). وقال الرازي: "الصفة كالعلم والسواد"(٤). وعرف الكفوي الصفة بقوله: "عبارة عن العوارض كالقيام والقعود ونحو ذلك"(٥).

إذن الصفة في اللغة تطلق على معانٍ منها: الأمارة ، والهيئة، والسمة، التي يتحلى بها الداعية. وهذا محط البحث.

---

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢١٧).
(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: وصف (١/١١٥).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، فصل الواو (٩/٣٥٦).
(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: نعت (٥/٤٤٨)، الجوهري، الصحاح تاج اللغة، مادة: نعت (١/٢٦٩)، ابن منظور، لسان العرب، فصل النون (٢/٩٩)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: نعت (٥/٧٩). الرازي، مختار الصحاح، مادة: و ص ف (ص٣٤٠).
(٥) الكفوي، الكليات، فصل النون (ص٩٠١).

ثانيا: الصفات في الاصطلاح:

عرفها المناوي بقوله: " الصفة: الاسم الدال على بعض أحوال الذات نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها. وقال بعضهم ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالأبيض أو معقول كالعلم". وعرف النعت بقوله: "الوصف، وهو شرح الصفات القائمة بالذات"(١).

وقال الكفوي: " ما يوصف به الأشياء على اختلاف أنواعها وأجناسها يسمى نعتا ووصفا. وفرق بين النعت والصفة بأن النعت يستعمل فيما يتغير من الجسد. والصفة تشمل المتغير وغير المتغير "(٢).

إذن الصفة هي ما قام بالشيء من أوصاف حسنة سواء كانت تلك الصفات حسية أم معنوية.

المطلب الثاني : مفهوم الداعية في اللغة والاصطلاح

أولا: الداعية في اللغة

الداعية اسم فاعل من دعا يدعو وهو القائم بالدعوة، والتاء فيه للمبالغة . فيقال عمن عرف بالدعوة داعية(٣).

وعليه فلفظ الداعية يدخل فيه: الداعية إلى الحق، والداعية إلى الضلالة، وأن دعاة الحق هم الذين يدعون إلى الله على بصيرة، ويقين، وبرهان: عقلي، وشرعي(٤).

---

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص٢١٧، ٣٢٧).

(٢) الكفوي، الكليات، فصل النون (ص٩٠١).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، فصل الدال (٢٥٩/١٤)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: دعا (١٢٠/٢).

(٤) سعيد بن وهف القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (١٠٨٦/٢).

ثانيا: الداعية في الاصطلاح

عرف ابن القيم الدعاة بقوله: " الدعاة جمع داع كقاض قضاة ورام ورماة وإضافتهم إليه للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرا"(١).

وعرفه الدكتور محمد البيانوني بقوله: " الداعي هو المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقة. فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها ، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل"(٢).

وعرفه الدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر بأنه: " هو كل من اتبع طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم من مسلم ومسلمة"(٣).

المطلب الثالث: دلالة الدعوة في اللغة والاصطلاح

أولا: الدعوة في اللغة:

الدعوة مصدر للفعل دعا، والدال والعين والحرف المعتل: أصل واحد، وهو ميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. ومنه الدعوة إلى الطعام، أي الدعاء إليها، والدعاء إلى الله ثلاثة أوجه: فضرب منها توحيده والثناء عليه.... والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه... والضرب الثالث مسألة الحظ من

---

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/١٥٣).

(٢) البيانوني، مدخل إلى علم الدعوة (ص٤١).

(٣) محمد بيلوا، أهمية الدعوة وصفات الداعية، بحث منشور ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٣/٣١٥).

الدنيا. وإنما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه(١).

إذن الدعوة في اللغة تحوي معنى النداء، والابتهال، والدعاء؛ تقول: دعوت أدعو دعاء.

ثانيا: الدعوة في الاصطلاح:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، وتطلق على معنيين؛ أولهما: بمعنى الإسلام أو الرسالة، وثانيهما: بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة.

فعلى الأول: عرفت بتعريفات منها: "هي دين الله الذي بعث به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – جميعاً، تجدد على يد محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة"، وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم"(٢).

وعلى الثاني: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: " الدعوة إلى الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله: بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى : الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه

(١) الجوهري، الصحاح تاج اللغة، مادة: دعا (٢٣٣٦/٦)، ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: دعو (٢٧٩/٢). ابن منظور، لسان العرب، فصل الدال المهملة (٢٥٧/١٤).

(٢) محمد عبدالرحمن الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، (ص: ١١-١٢)، ط ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر.

يراه"[١]. وقيل هي: " العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[٢].

والذي يخص بحثنا هو المعنى الثاني القائم على عملية النشر والتبليغ.

ثالثا: مفهوم صفات الداعية باعتبارها تركيبا إضافيا:

بعد استطلاع دلالة الصفات، والداعية، والدعوة في اللغة والاصطلاح، أستطيع أن أستخلص لهذا المصطلح حدا، فأقول صفات الداعية " هي النعوت الحسنة التي تقوم بالقائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، حتى تصير حلية له ويوصف بمكارم الأخلاق".

**

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٧/٥).

(٢) د/ الشاذلي، الدعوة إلى الله، دراسة نصية تحليلية (ص٢٢).

المبحث الثاني

الصفة الأولى: العلم وأثره على الداعية

المطلب الأول: مفهوم صفة العلم

دلالة العلم في اللغة:

لفظ "عِلْم" مصدر للفعل "عَلِمَ" أصوله ثلاثة أحرف -العين واللام والميم- تدل بوضعها على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومنها العلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة، وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته. وعالمت الرجل فعلمته أعلمه بالضم: غلبته بالعلم(١).

دلالة العلم في الاصطلاح:

بالرجوع إلى تناول العلماء من أهل الاختصاص لدلالة العلم نرى اختلافهم في تناولهم له بسبب اختلاف نظرتهم ومقصدهم:

فمن حيث دلالته على الملكة والقدرة البشرية عرفه الجرجاني بقوله: " ملكه يقتدر بها على إدراك الجزئيات"(٢).

ومنهم من عرفه بالنظر إلى كونه عملية إدراك المعلومات، فعرفه الغزالي بقوله: "هو معرفة العلل والمبادئ والأصول لأن إدراك هذه الثلاثة توصل إلى التعرف لماهية الأشياء ومعرفة حقيقتها"(٣).

ومنهم من عرفه بالنظر إلى ذاته، قال العضد الإيجيّ : "العلم صفة توجب لمحلّها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النّقيض"(٤).

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: علم (١٠٩/٤)، الجوهري، الصحاح تاج اللغة، مادة: علم (١٩٩٠/٥).
(٢) الجرجاني، التعريفات (ص١٥٥).
(٣) الغزالي، المستصفى (ص٢١).
(٤) نجم الدين الصرصري، شرح مختصر الروضة (١٧٠/١).

من خلال هذه الدلالات أستطيع استخراج مفهوما للعلم يتعلق بالداعية في الأمر والنهي؛ فأقول:" هو ملكة مكتسبة للداعية يستطيع من خلالها إدراك الأوامر والنواهي، عبر القواعد الشرعية، والأصول المرعية، مراعيا الحال والمآل".

المطلب الثاني: صفة العلم في الدعوة إلى الله من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من صفات الداعية في الدعوة إلى الله، والركيزة الأساسية، لمن يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العلم؛ وأعني به العلم بالله وعن الله، المعني بالشرعي، السائر على درب الأنبياء والمرسلين، لا سيما خاتمهم عليهم صلوات ربي وسلامه أجمعين، فالعلم عن الله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية يتضمن الإخبار عن نفسه وعن خلقه: مثل التوحيد والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد. والإنشاء الأمر والنهي والإباحة[1].

وأشار رحمه الله إلى ضرورة اتصاف الداعية بالعلم الشرعي لمن يقوم بمهمة الأمر والنهي، فقال: "وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به وما نهاه عنه، فإنه فرض على الأعيان كما أخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"[2].

وبين رحمه الله أن عمل الداعية لا سيما في الأمر والنهي لا يكون صالحا إلا إذا كان متصفا بعلم وفقه، إذ لا يجوز للداعية أن يخوض في مسألة في الدين إلا

---

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٥).

(٢) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام (ص٢٤، ٢٥). والحديث أخرجه البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

بعلم حتى ولو أصاب في مسائل تكلم فيها ولم يفقهها، فمن لم يتحل بالعلم وينعت به وفسر القرآن بغير علم ولو أصاب فقد أثم. فقال رحمه الله: " ولا يكون عمله صالحا إن لم يكن بعلم وفقه، وكما قال عمر بن عبد العزيز: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: «العلم إمام العمل والعمل تابعه» وهذا ظاهر، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما. ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي"[١].

وأشاد العودة بأهمية الاتصاف بالعلم وضرورته الشرعية المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: "العلم بالمعروف والمنكر بمقتضى الشرع، إذ إن الآمر والناهي؛ إذا لم يكن متَّبعًا للشرع؛ كان متَّبعًا للهوى، وكثير من الناس ينكِرون ما لا تهواه نفوسهم، ولو كان معروفًا، ولو كان من السنة، وهؤلاء يفسِدون أكثر مما يصلِحون"[٢].

وفي سياق هذا المعنى نفسه يضيف حجة الإسلام الغزالي مبينا أثر ضعف الاتصاف بالعلم لا سيما من يدعيه زورا وجهلا، بأنه أكثر ضررا على الإسلام من أعدائه فيقول: "وضرر الدين ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقة"[٣].

فقوله "لا بطريقه" واضحة جلية في معنى العلم الذي ينير طريق الدعاة، فكلما تمكن الدعاة من العلم بشتى أنواعه نفعوا الدين ولم يضروه.

ويؤكد أهمية اتصاف الداعية بالعلم ودوره في تعزيز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الراجحي، فيقول :"الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة فيما

---

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١٩).

(٢) سلمان العودة، صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، موقع صيد الفوائد.

(٣) الغزالي، تهافت الفلاسفة (ص١٣٨).

يأمر به وفيما ينهى عنه، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، كما قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}[يوسف:١٠٨]. فإن كان جاهلًا فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، لا سيما في هذا الزمن الذي انتشر فيه الجهل، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا عند كثير من الناس"(١). وأصبح كما قال الله فيهم {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}[الكهف:١٠٤].

إذن تبين أنه من لوازم الداعية إلى الله تعالى: الاتصاف بالعلم، إذ لا يتصور داعٍ ودعوة بدونه؛ لذا وجب على الداعية التحلي والتخلق به قبل قيامه بعمل الدعوة في الأمر والنهي، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله: "العلم قبل العمل قال تعالى {فاعلم أنه لا إله إلا الله}[محمد:١٩]، فقدم العلم على العمل...وعلل ذلك بأن أهل العلم لا ينفعون أنفسهم فقط وإنما ينفعون غيرهم بما يرشدونهم إليه...وذكر أن أهم تلك العلوم في الدعوة إلى الله هو علم طريق الآخرة؛ لأنه يهيج القلب ويزعجه ويدفعه إلى سلوكه"(٢).

مراتب العلم

حتى يكون الداعية على بصيرة من أمره، متمكنا في دعوته، لا بد أن يبصر مراتب العلم، وأن يكون على دربة ومراس لها، وقد جعلها ابن القيم الجوزية رحمه الله أربعة فقال: "أولها وثانيها: سماعه وعقله...المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لاينساه فيذهب. المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه، وهو

(١) عبد العزيز الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٨٠).

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة إلى الله (ص٣٢٦، ٣٢٧).

معرض لذهابه، فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن"[١].

وقد أحسن حجة الإسلام الغزالي حبك مراتب العلم في الأمر والنهي فجعلها في ثمانية وأطلق عليها درجات وآداب، ولا مشاحة في الاصطلاح، وهي:

"**الأولى**: المعرفة"؛ فقال رحمه الله: "تعني طلب المعرفة بجريان المنكر... "[٢]. ويستفاد من هذا أنه لا بد من معرفة أصل المسألة المنهي عنها، والوقوف على حقيقتها هل هي حرام أم حلال؟ ولأهمية ذلك قال بعض السلف: " طلب علم ما لم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي، والفرق بين الحلال والحرام"[٣]. ومن ملحقات العلم إدراك المسائل المختلف فيها؛ لأنه لا إنكار على مختلف فيه، قال النووي رحمه الله: "العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار فيه"[٤]. خلافا لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث نفى ذلك فقال: "ومسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح..."[٥]. ومن مستلزمات المعرفة علم الداعية بالعلوم الدنيوية المتعلقة بالمسألة الشرعية الدعوية؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ وتصوره جزء من علمه. قال الإمام الأسنوي رحمه الله: "الوضع

---

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٧١، ٧٢).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين (٢/٣٢٩).

(٣) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب (١/٢٢٥).

(٤) النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (٢/٢٣).

(٥) ابن تيمية، المستدرك على مجموع الفتاوى، جمع وترتيب محمد عبد الرحمن قاسم (٣/٢٠٥).

للشيء فرع عن تصوره، فلا بد من استحضار صورة الإنسان مثلا في الذهن عند إرادة الوضع له..."[1].

"**الثانية**: التعريف"؛ فقال رحمه الله: "المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله"[2]. من الضروري بمكان للداعية في تعريفه أن يكون عالما بمقاصد ومآلات الأمور، قال الشاطبي: "الأدلة الشرعية والاستقراء التام أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية..."[3]. ولأهمية التعريف بمقاصد ومآلات الأمور عده محمد طاهر حكيم من الواجبات فقال: "ومما يجب على المجتهد والمفتي حين يجتهد ويفتي أن يقدر مآلات الأفعال وعواقب الأمور وما يؤول إليه الأمر في النهاية..."[4].

"**الثالثة**: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى"؛ وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى..."[5]. وبناء عليه ينبغي على الداعي معرفة واقع المدعو، فهناك من الناس من يأتي بالوعظ والنصح، ومنهم من يأتي بالتخويف والترهيب، وفي هذا الصدد يقول شريف عبد العزيز: " أحوال الناس وأهواؤهم مختلفة متضاربة وأمراضهم متنوعة، فهو لا ولن يوفق في ترغيبه ولا

---

(١) الأسنوي، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص٧٩).
(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين (٣٢٩/٢).
(٣) الشاطبي، الموافقات (١٧٩/٥).
(٤) محمد طاهر حكيم، رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة (ص٢٣٧).
(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين (٣٣٠/٢).

ترهيبه ولا ينجح في تخويفه حتى يحيط معرفة بمن يدعوهم ليعطي كل طائفة حقها، وينزل كل فئة منزلتها ويخاطب كل صنف حسب فهمه وإدراكه"(١).

ثم ذكر رحمه الله بقية درجات النهي عن المنكر -والتي لا تدخل تحت قاعدة العلم- كالسب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن، والتغيير باليد، والتهديد والتخويف، ومباشرة الضرب باليد والرجل، والاستعانة بأعوان يشهرون السلاح.

فإذا تحقق في الداعي تحصيل هذه العلوم والفنون ومراتبها، أصبح على بصيرة في دعوته كما قال تعالى {قل هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} يوسف:١٠٨.

العلوم الواجب تحلي الداعية بها

ليس شرطا من شروط الدعوة أن يكون الداعية ملما بجميع العلوم؛ إذ الدعوة ليست حكرا على العلماء وحدهم، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية"(٢). فكل من علم من أحكام الإسلام شيئاً دعا إليه، وكل من علم منكراً وعرف دليل حرمته نهى عنه، وإذا لم يكن الأمر كذلك تعطلت الدعوة ومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا خلاف بين الفقهاء أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه(٣). وكلما تجرأ الداعية في خوض بحر لا يعرف السباحة فيه غرق وأغرق من معه، يقول ابن دريد:

(١) شريف عبد العزيز، أساليب خطابية مميزة، أسلوب الترغيب والترهيب. موقع الخطباء الإلكتروني.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٥٧٢/٦).

(٣) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة (ص٣١٢).

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا[١]

وبين الإمام الشوكاني رحمه الله عددا من العلوم ينبغي على الداعي مراعاتها والتخلق بها في مرحلة التكوين والطلب، منها المهم ومنها الثانوي، فقال: "فينبغي لمن تصور الوصول إليها وقصد الإدراك لها علم النحو والصرف وعلم المعاني والبيان وفن الوضع والمناظرة، وعلم المنطق، وعلم الفقه وأصوله، وعلم الكلام وأصول الدين، وعلم التفسير، وعلم السنة، وعلم مصطلح الحديث، وعلم التاريخ... فإذا أحاط الطالب بما ذكرناه من العلوم فقد صار حينئذ في الطبقة العالية من طبقات المجتهدين وكملت له جميع أنواع علوم الدين وصار قادرا على استخراج الأحكام من الأدلة متى شاء وكيف شاء"[٢].

ويبقى هذا اجتهاد للإمام الشوكاني، وليس بلازم بالكلية والإحاطة بهذه العلوم جميعا.

الحد الأدنى من العلوم الواجب توافرها في الداعية

اختلف العلماء والمفكرون في الحد الأدنى للعلوم التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية واجتهدوا في ذلك، وممن كتب في ذلك من المعاصرين الدكتور علي عمر بادحدح؛ حيث ذكر الحد الأدنى للعلوم الشرعية الأساسية للداعية، ومنها علم العقيدة الإسلامية وذكر منها: كتاب لمعة الاعتقاد لابن قدامة... وعلم التفسير كتفسير ابن كثير... وعلم الحديث كبلوغ المرام، وأذكار النووي...وعلم الفقه فيدرس مختصراً في فقه العبادات والمعاملات ...وعلم السيرة والتاريخ كالرحيق المختوم للمباركفوري...ومفاتيح العلوم فيدرس مختصراً في أصول الفقه ... ومختصراً في علوم الحديث ..وفي علوم القرآن .. وفي أصول التفسير

(١) ابن دريد، مقصورة في الحكم والأخلاق الكريمة.

(٢) الشوكاني، أدب الطلب ومنهى الأدب (ص١٣٦-١٥٢).

وذلك بحسب الطاقة. وعلوم اللغة كالآجرومية ...وكذا في البلاغة والأدب ككتاب البلاغة الواضحة لعلي الجرامي (يمكن النظر في برامج ومناهج العلم وثقافة الداعية في كتاب ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوي، وجند الله ثقافة وأخلاقاً لسعيد حوى، والدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ومناهجها للدكتور أحمد أحمد غلوش، والعلم فضله وطلبه لأمين الحاج أحمد محمد وغيرها[١].

وما ذكره الدكتور بادحدح هو من باب المثال لا الحصر، وفي التراث الإسلامي كثير من العلماء والكتب التي يستطيع الداعية الاستفادة منها من حيث التأصيل.

العلوم الثانوية التي تنمي نشاط الداعية

من العلوم الملحة للداعية، والتي لم يأت ذكرها في كلام شيخ الإسلام، فقه الخلاف، وغرائب المسائل في العلم وحدوده، والعلوم الثقافية؛ لكونها من الأمور العصرية، فالداعية سريع التحرك والانتشار، وبحكم الدعوة يلتقى بعدد كبير من مختلفي الأمزجة والثقافات من البشر، وعليه أن يكون على اطلاع ثقافات الآخرين حتى يحسن التعامل معهم؛ لأن الجهل بذلك قد يضر بالدعوة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "هناك عجز في المعرفة بالحاضر المعيشي والواقع المعاصر، فهناك جهل بالآخرين نقع فيه بين التهويل والتهوين مع أن الآخرين يعرفون عنَّا كل شيء وقد كشفونا حتى النخاع، بل هناك جهل بأنفسنا، فنحن اليوم لا نعرف حقيقة مواطن القوة فينا ولا نقاط الضعف لدينا،

(١) د/علي عمر بادحدح، من مقومات الداعية الناجح.. الرصيد العلمي والزاد الثقافي. موقع مهارات الدعوة الالكتروني. بتصرف.

وكثيراً ما نضخم الشيء الهيّن، وما نهون الشيء العظيم، سواء في إمكانياتنا أم في عيوبنا"[١].

ومن تلك العلوم في فقه الخلاف وغرائب المسائل وعلوم الثقافة بأنواعها وهي:

"فقه الخلاف" هو علم من علوم الفقه الإسلامي، يبحث في حكم مسألة فقهية معينة اختلف الفقهاء في حكمها تبعا لاختلافهم في الدليل أو فهمه ومناقشة كل مذهب مع دليله وصولا إلى الراجح من هذه الآراء[٢]. فالداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بعد تحصيله العلم، ينبغي عليه الاطلاع على أمور هي من الضرورة بمكان في مهمته الدعوية، ومنها فقه الخلاف، ولضرورته يقول يوسف الشبيلي: " من أهم أسباب الانحراف عند المسلمين الجهل بفقه الخلاف وآدابه؛ حيث يحل العنف في مسائل اجتهادية محل الحوار، وتظهر المنابذة في أمور تقتضي الصفح والوئام...."[٣].

"الثقافة العامة" من العلوم التي تضفي على الداعية معارف سلوكية واجتماعية، وليست أمرا حتميا على كل داعية لا سيما القائم على الأمر والنهي، الاطلاع على الثقافة العامة، ويقصد بها "ما يتصل بإبراز محاسن الإسلام، ومعرفة مقاصد الشريعة، وتفنيد وردّ مزاعم خصوم الإسلام وشبهاتهم، وإظهار الكمال في أنظمة الإسلام الاجتماعية والاقتصادية وغيرها...[٤].

---

(١) القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية (ص٢١).

(٢) فقه مقارن. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) يوسف الشبيلي، فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب (ص٣).

(٤) د/علي عمر بادحدح، من مقومات الداعية الناجح.. الرصيد العلمي والزاد الثقافي، موقع مهارات الدعوة الإلكتروني.

"الثقافة المعاصرة" وهي عبارة عن مجموعة من الأشكال والمظاهر لمجتمع معين تشمل عادات، وممارسات وقواعد ومعايير كيفية العيش والوجود، من ملابس، وطقوس وقواعد السلوك والمعتقدات[١]. وفي بيان هذه الثقافة يقول بادحدح "وأعني بها عدداً من الجوانب منها: المذاهب الفكرية المعاصرة.....والواقع المعاصر... [٢].

" الوسائل الحديثة" من العلوم الثانوية لكن من الضروری للداعية معرفة وتعلم بعض الوسائل التي تعينه في دعوته، مثل: وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة؛ لأن أثرها بالغ جدا على المجتمع. وعن أهمية وسائل التواصل الحديثة في الدعوة إلى الله يقول فهد العيسى: "تتمثل أهمية الدعوة إلى الله تعالى في برامج التواصل الاجتماعي في كون الدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مُسلم قادرٍ من أبناء الأُمة المسلمة، وأن هذه الوسيلة رغم حداثتها واسعة وسريعة الانتشار وحرة مع سهولة استخدام هذه الوسيلة، وكذلك إقبال الناس المتزايد على استخدام هذه البرامج ، علاوة على أن الدعوة إلى الله تعالى عبر هذه البرامج غير مكلفة مادياً، ومعظم مستخدمي مواقع التواصل من الطبقة المثقفة والفئة المتعلمة الواعية، وهي وسيلةٌ دعوية متاحة للجميع في أي وقت من الأوقات مع ما يصاحب ذلك من تفاعل بين الداعية والمتلقي[٣].

---

(١) أحمد صلاح خطاب، الثقافة وأهميتها في المجتمع، موقع عالم الفنون الشعبية الإلكتروني.

(٢) د/علي عمر بادحدح، من مقومات الداعية الناجح.. الرصيد العلمي والزاد الثقافي. موقع مهارات الدعوة الإلكتروني.

(٣) فهد العيسى، الدعوة عبر برامج التواصل الاجتماعي. مجلة الرياض الالكترونية، الأربعاء ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ- ٢٤ فبراير ٢٠١٦م – العدد ١٧٤١١.

المطلب الثالث: أثر الوصف بالعلم على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولى صفات الداعية المستنبطة من مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام: العلم؛ قال رحمه الله : "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فما ينهي عنه"(١). فبالعلم كرم الله آدم واستخلفه في الأرض.

ويبرز أثر الوصف بالعلم في بناء شخصية الداعية في النقاط التالية:

بالعلم يعرف الداعية ربه حق المعرفة؛ إذ هو أساس صحّة الاعتقادات، وبه يدعو الناس؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

يكسب العلم الداعية الاحترام الذاتي، والاحترام والتقدير والمهابة من قبل الآخرين ويرفع درجته كما أخبر بذلك القرآن الكريم (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)المجادلة ١١ .

العلم يحفظ الداعية من الغلو والتنطع في الدين وتميعه، ويحفظه من الإفراط والتفريط، وهي أسباب ملموسة معاصرة في وجود التطرف والإرهاب والظلم باسم الدين، وسببه ادعاء العلم، أو عدم فهمه على مراده.

يزيد العلم الداعية معرفة الخلاف في المسائل الشرعية، ويخفف عنده حدة التعصب للرأي الواحد، ويجعل له قبولا عند العوام الذين يرون سعة الآراء في الإسلام وسماحته.

منهجية طلب العلم من حيث البدء في صغاره قبل كباره، وبالطرق المنهجية المعروفة عند العلماء، يؤثر ذلك في شخصية الداعية.

---

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٢١).

اهتمام الداعية بعلوم العقل والنقل، وعلوم الآلة والمنطق، والتي تعتبر مفاتيح العلوم، تزيده فهما للعلوم الشرعية، وقبولا عند المدعوين؛ حيث إن منطقه وحجته تكون مقنعه لهم.

العلم بالواقع من أعظم الوسائل لضبط خريطة الطريق عند الداعية، فكلما زاد علم الداعية بواقعه انتفع من علمه وتطبيقه، ودعوة الناس من خلاله فيجعله يعرف متى يقدم ويحجم ويعجل ويؤجل في الدعوة على بصيرة ووضوح.

حرص الداعية على امتلاك الأدوات العلمية التي توافق طبيعة التحديات المعاصر، وتمكنه من الوصول إلى جميع فئات الناس ومستوياتهم.

العلم يفرض على الداعية احترام التخصص الكلي والنوعي للعلوم، حتى في علوم الشريعة، فالمتخصص بالتفسير يختلف عن المتخصص بالحديث أو الفقه أو الجدل، والمناظرة والفلسفة الإسلامية.

العلم يغذي الداعية بالنظرة المعتدلة إلى التراث العلمي الإسلامي والغربي بعيدا عن التقديس أو التهوين، فالعلوم العلمية لا تخلو من نقص، واجتهادات الخصوم لا تخلو من صواب في غير أبواب الطعن في الإسلام، ومرد ذلك كله إلى الموضوعية والإنصاف.

العلم يعلم صاحبه التواضع، ومعرفة القدر الذي ينبغي ألا يتجاوزه، والبحر الذي ينبغي أن يعرف قدر مهارته في السباحة فيه، وإلا أضر بدعوته أكثر من أن ينفعها. يقول ابن دريد:

من لم يقف عند انتهاء قدره   تقاصرت عنه فسيحات الخطا[١]

---

(١) ابن دريد، مقصورة في الحكم والأخلاق الكريمة.

المبحث الثالث

الصفة الثانية: الرفق وأثره على الداعية

المطلب الأول: دلالة صفة الرفق في اللغة والاصطلاح

دلالة الرفق في اللغة:

الرِّفْقُ مصدر للفعل رَفِقَ بالكسر، يعني ما استعين به[١].

وأرفق به وترفق، ورفق به ورفق، وفيه رفق وهو لين الجانب ولطافة الفعل[٢].

فالرّاء والفاء والقاف أصل واحد يدلّ على موافقة ومقاربة بلا عنف، فالرّفق خلاف العنف[٣].

وقد رفق به يرفق... والرفقة: الجماعة ترافقهم في سفرك. والرفقة بالكسر مثله، والجمع رفاق... والرفيق: المرافق، والجمع الرفقاء. والرفيق أيضا: ضد الأخرق[٤].

إذن يستفاد من دلالة الرفق في اللغة معانٍ منها: الاستعانة، واللين، واللطف، والموافقة، والمقاربة، وجميعها يتضمنها البحث.

دلالة الرفق في الاصطلاح:

تناول العلماء مفهوم الرفق بعدة مصطلحات تتنافر في المباني وتجتمع في المعاني، ومن هذه المصطلحات ما يأتي:

عرفه الحافظ ابن حجر بقوله: "هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف"[٥].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة: رفق (٣٤٦/٢٥).
(٢) الزمخشري، أساس البلاغة (٣٧١/١).
(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: رفق (٤١٨/٢).
(٤) الجوهري، الصحاح تاج اللغة، مادة: رفق (١٤٨٢/٤). الرازي، مختار الصحاح، مادة: ر ف ق (ص١٢٦).
(٥) ابن حجر، فتح الباري (٧٩٨/٢).

وعرفه القاري بقوله: "هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها"(١).

وعرفه الكفوي بقوله: "الرفق: التوسط واللطافة في الأمر(٢).

وعرفه المناوي بقوله: "الرفق: حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل(٣).

إذن الرفق في الدعوة عبارة عن "مداراة في التعامل مع الآخرين مع التوسط وحسن انقياد بيسر ولطف ولين جانب بالقول والفعل".

المطلب الثاني: صفة الرفق في الدعوة إلى الله من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من صفات الداعية التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله في حديثه عن الشروط الواجب توافرها في الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر: الرفق، فقال: "ولا بد في ذلك من الرفق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». وقال: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ »(٤).

الأساليب التي تعين الداعية على اكتساب الرفق

سبق بيان حكم طلب العلم الشرعي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من خلال كلام شيخ الإسلام، وأنه فرض كفاية، والآثار المترتبة على دعوته، وليعلم

---

(١) الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/٣١٧٠).

(٢) الكفوي، الكليات، فصل الراء (١/٤٨٢).

(٣) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص١٧٩).

(٤) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب في فضل الرفق (٢٥٩٣ ، ٢٥٩٤).

أن ثواب ذلك عظيم وأثره كبير على المدعو لا سيما إذا استخدم أساليب الرفق الآتي ذكرها:

"القدوة": عرفها المناوي بقوله: "هي الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به"(١). وهي أحد أساليب الرفق التي يجب أن يتماثلها الداعي إلى الله؛ لأن المدعو دائما في حاجة إلى نموذج حي، يتأسى به ويسير على دربه، ولأن العمل أبلغ من القول، فقد علم ذلك الأنبياء عليهم السلام، وها هو شعيب عليه السلام يقول (وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)هود:٨٨. والدلالة من الآية في كون ثمرة الدعوة إلى الله تعالى الإصلاح، والإصلاح لا يكون إلا إذا كان الداعية قدوة، ومن سمات القدوة موافقة قوله عمله، رفيقا فيما يدعو إليه يدل عليه قوله " وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ"، قال الفخر الرازي: "واعلم أن المقصود من هذا الكلام أن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد، وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الأصوب الأصلح..."(٢). قال القشيري: "شرط الأمر بالمعروف استعمال ما تأمر به، والانتهاء عما تنهى عنه"(٣).

وعن أهمية القدوة في حياة الداعي، وجعله منهجا وسلوكا دعويا اقتداء بسيد الدعاة والمرسلين، يقول عزيز فرحان العنزي: "المستقرئ لكتب السنة يجد كيف كشفت لنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التطبيق النموذجي لتأثيره على الناس، من خلال الخلق العظيم، والأدب السامي الذي كان يتصف به، فكان يزور الناس ويغشاهم في مجامعهم، ويتودد إليهم ويستقبل وفودهم، ويعفو عمن ظلمه، ويحلم

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٦٩).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٣٨٩/١٨). بتصرف.

(٣) القشيري، لطائف الإشارات (٣٢٩/٢).

على من أساء إليه، مما يجعلنا معاشر الدعاة نلتزم بتفعيل جانب القدوة الحسنة في واقع دعوتنا"(١).

"الحكمة": عبر عنها النووي فيما نقله عنه ابن حجر بقوله: "الحكمة هي العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك"(٢). والمراد بها كأسلوب من أساليب التحلي بالرفق هي: "قدرة الداعية على استعمال الأساليب الدعوية في مواضعها بالوسائل المناسبة لكل مدعو مراعيا في ذلك أحوال المدعوين، وظروف الزمان والمكان"(٣). فالداعية لا يستطيع الاستغناء عن الحكمة بأي حال من الأحوال؛ لأنها أداته التي لا يستطيع الدعوة بدونها، وتتجلى أهمية ومكانة الحكمة كأسلوب من أساليب التخلق بالرفق في الدعوة إلى الله من خلال اتصاف الرحمن بها في قوله (تنزيل من حكيم حميد) [فصلت:٤٢]، ووصفه سبحانه لنبيه بها في قوله (ويعلمهم الكتاب والحكمة)[آل عمران:١٦٤]، وقد ضرب صلوات ربي وسلامه عليه أروع المثل والقدوة في الحكمة في القول والفعل، ولِمَ لا فقد غرست فيه غرسا كما في حديث المعراج، وفيه: "...ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري..."(٤).

"اللين": يعبر عنه بأنه : "سهولة الانقياد للحق، والتلطف في معاملة الناس وعند التحدث إليهم"(٥). فاللين أسلوب من أساليب الرفق في الدعوة إلى الله تعالى؛

(١) عزيز فرحان، البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى (ص١٣٣).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥٤٩/١).
(٣) نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله (ص١١٠).
(٤) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب ذكر إدريس عليه السلام (٣١٦٤).
(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٢٩٦/٨).

ولأهميته وضرورته في أداة الداعية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن نظر في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بأنواع اللين واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بأن شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده"(١).

"التدرج في الدعوة إلى الله تعالى": من أساليب اكتساب الرفق في الدعوة إلى الله تعالى: التدرج؛ فهو يهيئ النفس إلى سماع الحق، فتوجيه الأمر والنهي للمدعو على دفعات يجعله أكثر تقبلا لتطبيق شرع الله(٢).

"ترتيب أولويات الدعوة": من أعظم أساليب التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله تعالى ترتيب الأولويات، والمراد بها: "العلم بمراتب الأعمال ودرجات أحقيتها في تقديم بعضها على البعض المستنبط من الأدلة ومعقولها ومقصودها"(٣).

"فقه الواقع": من وسائل وأساليب التخلق بالرفق في الدعوة إلى الله تعالى، والتي تنم عن فطنة الداعي وبراعته؛ فقه الواقع، ويعنى به: " علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة من العوامل المؤثرة في المجتمعات والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل"(٤). وقيل : " هو الفهم الدقيق النافذ إلى أعماق ما يجري في الظرف المعيش، والمجال المحيط"(٥). وعن أهمية فقه الواقع يقول ابن القيم:

---

(١) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ص١١٩).

(٢) نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله (ص١١٤).

(٣) محمد همام عبد الرحيم، تأصيل قوة الأولويات (ص٤٦).

(٤) ناصر العمر، فقه الواقع (ص١٠).

(٥) مجلة البيان (٤/٢٣٤).

"فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان"[١]. وقال هاشم الأهدل: "الإسلام اليوم لا يستقيم عموده فقط بدعاء شيخ في زوايا المسجد أو بإلقاء الخطب الرنانة الجوفاء التي لا مكان لها في الواقع"[٢].

"الإعذار إلى الله"[٣]: من أساليب اكتساب الاتصاف بالرفق التي يجب أن يقتفي أثرها الداعي إلى الله تعالى: الإعذار إليه، وترك أمر الهداية عليه، وتفويض الأمر إليه، وقد بين سبحانه أهمية هذه الأمور في جواب الدعاة للناس عندما أشاروا عليهم بترك الدعوة في عصاة لا يتعظون بالنصح، قال تعالى (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الأعراف:١٦٤. قال القشيري رحمه الله: "الحقائق وإن كانت لازمة فليست للعبد عند لوازم الشرع عاذرة -أي لا ينبغي نصرة الحقيقة على حساب الشريعة بحال- بل الوجوب يفترض شرعا، وإن كان التقدير غالبا بكل وجه"[٤]. وفي أهمية الإعذار يقول سيد قطب: "هو واجب لله نؤديه: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخويف من انتهاك الحرمات، لنبلغ إلى الله عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا. ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى"[٥]. وفي السنة يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الإعذار إلى الله تعالى بعد القيام بما يجب علينا من الدعوة إلى الله، فيقول بعد إتمام وإكمال ما

(١) ابن القيم، الفوائد (ص١٠٨).
(٢) هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة (ص١٣٣).
(٣) نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرفق وأثره في الدعوة إلى الله (ص٤٤٨).
(٤) القشيري، لطائف الإشارات (٥٨١/١).
(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن (١٣٨٤/٣، ١٣٨٥).

أنيط به من البلاغ، مستشهدا رب العالمين قائلا: "اللهم قد بلغت"، فقال الصحابة: نعم، فقال: "اللهم اشهد ثلاث مرات"[1].

فالإعذار يجعل من الداعية يشعر بأنه أدى الأمانة الملقاة عليه، وخلصت ذمته من واجب تبليغ الأمانة الدعوية، ويكفي هذا الشعور تأثيرا بالرفق على المدعوين.

ما يستثنى فيه الرفق

الرفق يجعل صاحبه يدرك الأمور الصعبة، وأنه ما وضع في شيء إلا زانة، وما انتزع من شيء إلا شانه، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[2]. وكما قيل: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته[3]. لكن الداعية الذي تحلى بالرفق وقائم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تعترضه مواقف لا يحسن فيها الرفق؛ إذ قد ينقلب أحيانا إلى ذل ومهانة، فبعض الناس يخطئون في المكان الذي يرفقون فيه، يعني: الموقف الذي يستخدم فيه الرفق يكون خطأ، والمفروض أنه لا يستخدم الرفق في هذا الجانب، فينقلب الرفق في حقه إلى ذل ومهانة، فلا بد من التوسط في الأمور، يبين ذلك قوله تعالى{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}[النور:٢]. فيمن ارتكب جريمة الزنا، وتعدى على حرمات الله. قال الماوردي :"والرأفة الرحمة ولم ينه عنها لأن الله هو الذي يوقعها في القلوب وإنما نهى عما تدعو الرحمة إليه"[4]. وقال بعض السلف: "لا

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤).

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد (٢٠٢/٢).

(٤) الماوردي، النكت والعيون (٧٢/٤).

تكن رطبا فتعصر، ولا يابساً فتكسر"[١]، وقال لقمان الحكيم: "لا تكن حلوا فتبلع، ولا مرا فتلفظ إلى الخارج"[٢].

وهنا يأتي سؤال ألا وهو: هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرفق في كل المواقف؟

والإجابة عن هذا السؤال بالطبع لا، فهناك استثناءات قائمة على المصلحة، والدليل على ذلك: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من أسامة بن زيد رضي الله عنه لما قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله......فلما رفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف القصة، لم يقف موقف الرفق، وإنما وقف موقف الشدة الشديدة جدا، وجلس يوبخ أسامة بن زيد، ويقول له: "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله (أو قال له): ماذا تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة[٣]؟ حتى قال أسامة: فتمنيت أني ما أسلمت قبل يومئذ. يعني: تمنيت لو أني كنت كافرا لما قتلت الرجل وأسلمت بعدما قتلته، من شدة اللوم الذي شعر به[٤].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقف من أسامة موقف الرفق؛ لأن المقام ليس مقام رفق، فالفعل كان كبيرا وهو قتل النفس، وقد انتهكت حرمات الله، فلا ينبغي للداعية أن يقف موقف اللين والرفق إن كان يفهم منه الذل والمهانة.

ومن الحكم النبوية في المواقف التي لم يستعمل فيها اللين، واستعمل ما يناسبه؛ ما جاء في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ

---

(١) الخادمي، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية (٣/٧١).

(٢) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/٣٩١).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر (٩٧).

(٤) دروس الشيخ محمد المنجد (١٤/٦٣). موقع المكتبة الشاملة.

إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»(١). ففي نزع النبي عليه السلام لخاتم الرجل من يده، دليل على عدم استخدامه للرفق في موضع الشدة، فلبس الذهب منهي عنه للرجال، قال فيصل النجدي: "الأمر المعروف والنهي عن المنكر فيه تغيير المنكر باليد، فإن لباس الرجل الذهب محرم ومنكر"(٢).

ومن تلكم المواقف موقفه عليه السلام مع الرجل الذي كان يأكل بشماله، مع نهيه له، وأمره بالأكل باليمين، معترضا ذلك بقوله: ما أستطيع"، عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرِ» قَالَ: فَمَا رَفَعَهُمَا إِلَى فِيهِ(٣). فهذا الرجل كان لا يحتفل للطعام ولا يبالي به فيأكل باليسرى، فناسب معه قوله عليه السلام "ما استطعت" وما تحمله من معاني الشدة والغلظة لكبره، قال النووي: "وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل"(٤). وقال الهروي: " كأن قائلا قال: لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة للعالمين؟ فأجيب: بأن ما منعه من الأكل باليمين العجز، بل منعه الكبر"(٥).

فالرفق يجب أن يكون وسيلة يحقق المقصود، فإذا كان المقصود لا يتحقق بالرفق، وإنما يتحقق بالشدة والغلظة، فلا يجوز استخدام الرفق في هذه الحالة، ورحم الله المتنبي إذ يقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٠).

(٢) النجدي، تطريز رياض الصالحين (٤٤٤/٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٤) النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (٣٨٠٤/٩).

(٥) الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٨٠٤/٩).

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضرّ كوضع السيف في موضع الندى(١)

فالرفق لا يعني الذلة للكفار، والذلة للذين يستهزئون بالمسلمين كالصور التي يطبقونها، وكالذين يسبون الله عز وجل، فهؤلاء ليس لهم الرفق، إذا دُعوا إلى الله، ودين الله والحكمة، ووُعِظوا، وأصروا، فليس لهم إلا الغلظة {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}التحريم:٩. هذا التنبيه مهم جداً حتى لا تنقلب الأمور، وحتى لا تخرج عن إطارها الصحيح(٢).

المطلب الثالث: أثر الوصف بالرفق على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرفق له أثره الكبير في شخصية الداعية، فهو من الأمور الإيجابية في حياته ينعكس على من حوله من البشر؛ إذ يساعده على زيادة الألفة والمحبة بين المدعوين. ولضيق المقام أجمل آثار الرفق على شخصية الداعية في النقاط التالية:

"يقوي الرفق أواصر الحب بين الداعية وبين ما يكمن له الحقد والحسد، مع تخلصه من تلك الأدواء".

"الرفق يكسر الحاجز بينه وبين المدعو ويكسبه ثقته ومودته، شاهد ذلك الشاب الذي طلب الزنا، والأعرابي الذي بال في المسجد.

(١) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة (ص١١١).
(٢) المرجع السابق. بتصرف.

"يدل الرفق على صلاح الداعية وحسن أخلاقه ويكون السبب في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق"(١).

"للرفق أثره البالغ على تغيير الصورة النمطية التي أحدثها الغرب لتشويه صورة المسلمين من خلال العنف، والدليل على ذلك ما أحدثته لقطة الإمام والهرة في الغرب من تعليق القنوات الإخبارية، ووسائل التواصل الاجتماعي على ذلك".

"التزام منهج وأسلوب واحد في الرفق مع المدعوين على اختلاف أنواعهم ومستوى خصوماتهم في الدين ليس منهجا قرآنيا ولا نبويا، فالرفق له مجاله، والشدة لها مجالها، والذي يحكم ذلك هو حكمة الداعية والمصلحة".

"قد يحتاج العامة إلى الشدة في أصول الدين التي يكفر المخالف بها، وتزداد الحاجة إلى الرفق في الفرعيات عامة، والقضايا التي اختلف فيها العلماء والأئمة، وإن كان يقين الداعية أن الحق فيها واضح في طرف دون آخر، فإن وجود سلف من الأئمة قال بقول ما باب لأعذار المخالف".

"تزيد أهمية الرفق وتكون عظيمة عندما تكون الخصومة مع أعداء الدين، فإن تعظيم الخلافات الداخلية بين المسلمين والشدة فيها يزيد من وهن جسد الأمة، حين منازلة الكفار والملحدين والمنافقين".

"يعظم أمر الرفق مع الجاهل والغافل، ويعظم أمر الشدة مع المعاند والمتآمر".

"الرفق واللين من أعظم الوسائل في تسرب حب الداعية إلى قلوب المدعوين، وسببا في حرمته عن النار لقوله صلى الله عليه وسلم : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ» ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ"(٢).

---

(١) آثار الرفق، مقال نشر عبر المجلة البرونزية للمرأة العصرية، بواسط:ahmed، بتاريخ ٢١/ ١٠/ ٢٠٢٢م. بتصرف. وانظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢١٦٨/٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٨) وقال حديث حسن غريب.

المبحث الرابع

الصفة الثالثة: الصبر وأثره على الداعية

المطلب الأول: دلالة صفة الصبر في اللغة والاصطلاح

دلالة الصبر في اللغة:

الصبر مصدر للفعل صَبَرَ الدال على حبس النفس عن الجزع، تقول: صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا، وحروفه الثلاثة "الصاد والباء والراء" ترمي إلى ثلاثة أصول: الحبس، وأعالي الشيء، وجنس من الحجارة، والأول هو ما يتعلق بالبحث، نحو: صبرت على ما أكره. وصبرت عما أحب، وصابرته على كذا مصابرة، والصبر أمر من الصبر، وهو صبور ومصطبر ومتصبر. وصبرت نفسي على كذا: حبستها(١).

إذن أصل الصبر في اللغة الحبس؛ ومنه سمي الصوم صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح.

دلالة الصبر في الاصطلاح:

تناول العلماء مفهوم الصبر بدلالات شتى، أقتصر على ذكر البعض منها، لضيق المقام.

قال سعيد بن جبير: "الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه"(٢).

وقال ذو النون: "الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة"(٣).

---

(١) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، مادة: صبر (٧٠٦/٢)، ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: صبر (٣٢٩/٣)، الزمخشري، أساس البلاغة، مادة: ص ب ر (٥٣٤/١).

(٢) السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٥٢٣/٢).

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية (٣٢٣/١).

وقال ابن عطاء: "الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى".

وقال أبو عثمان: "الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكاره، وقيل: الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية".

وقال عمرو بن عثمان: "الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة ، وقال الخواص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة، وقال يحيي بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجبا كيف يصبرون"(١).

وقال ابن القيم: "خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها"(٢).

المطلب الثاني: صفة الصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من صفات الداعية التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله في حديثه عن الشروط الواجب توافرها في الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر: الصبر؛ فقال: "ولا بد أيضا أن يكون حليما صبورا على الأذى: فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح: كما قال لقمان لابنه: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[لقمان: ١٧]. ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصبر"(٣). ولمكانة الصبر وأهميته للداعية، بيَّن شيخ الإسلام أن الصبر

(١) المرجع السابق.

(٢) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص١٦).

(٣) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٢٠).

واجب باتفاق المسلمين على أداء الواجبات، وترك المحظورات[١].. وأنه نوعان: صبر عند الغضب، وصبر عند المصيبة...[٢].

والصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعني بالضرورة الخروج على الحكام، وإفساد ذات البين، فالعلاقة بينهما منفكة، حيث لا يتصور الارتباط بينهما إلا خاطئ، فأئمة المسلمين الواجب في حقهم النصح، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٣]. قال النووي:"وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم"[٤].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الحكمة التي راعاها الشارع في النهي عن الخروج على الأمراء وندب إلى ترك القتال في الفتنة لما في المقاتلة من قتل للنفوس بلا حصول للمصلحة المطلوبة، قال: "وإن كان الفاعلون لذلك يرون أن مقصودهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالذين خرجوا بالحرة وبدير الجماجم على يزيد والحجاج وغيرهما، لكن إذا لم يزل المنكر إلا بما هو أنكر منه صارت إزالته على هذا الوجه منكرًا، وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته

(١) ابن تيمية، التحفة العراقية (ص٥٤).
(٢) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٤٢، ٤٥). بتصرف.
(٣) أخرجه مسلم (٥٥).
(٤) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (٢/٣٨).

أعظم من مصلحة ذلك المعروف، كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكرًا"[١].

وأكد أيضا ضرورة الصبر لمن أراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سيما فيما يراه من منكر من قبل ولاة الأمر، فقال: "ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة... ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة"[٢]. وعلل ذلك بالقاعدة العامة التي تقول بتعارض المصالح والمفاسد، فقال: "وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها..."[٣].

والداعية قد يعتريه ضيق نفس، لما يلاقيه في دعوته، أو معيشته، أو معاملته مع أقرانه، فيلجأ إلى الشكوى للخلق، فبين شيخ الإسلام رحمه الله أن هذه الشكوى لا تنافي الصبر فقال: "وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل فإن يعقوب قال {فصبر جميل}[يوسف:٨٣]، وقال:{إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}[يوسف:٨٦] [٤].

وأعلى مراتب الصبر لدى الداعية؛ الصبر على الأذى، قال الغزالي رحمه الله: "فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا"[٥].

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٤/٥٣٦).

(٢) ابن تيمية، الاستقامة (٢/٢١٤، ٢١٥).

(٣) المرجع السابق (٢/٢١٦- ٢١٨).

(٤) ابن تيمية، العبودية (ص٨٥).

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين (٤/٧٢).

وللصبر مراتب جعلها ابن القيم والهروي ثلاثة، بينما جعلها الفيروز آبادي، والزبيدي خمسة. ومع اختلاف معدودها إلا أنها متكاملة، وعلى الداعية الوقوف عليها للاستفادة منها في دعوته، وتفصيل ذلك كالآتي:

مراتب الصبر عند ابن القيم

الأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه.

الثاني: الصبر لله. وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه.

الثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية(١).

مراتب الصبر عند الهروي

الأول: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان، وحذراً من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء.

الثاني: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً.

الثالث: الصبر في البلاء(٢).

مراتب الصبر عند الفيروز آبادي والزبيدي

قالا رحمهما الله: "مراتب الصّبر خمسة: صابر، ومصطبر، ومتصبّر، وصَبُور، وصبّار. فالصّابر أَعمّها. والمصطبر: المكتسِب للصبر، والمبتلَى به.

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين (٢/١٥٧).

(٢) الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/١٣٦٨). وانظر: فتاوى الشبكة الإسلامية (٩/٦٢٨١).

والمتصبرّ: متكلِّف الصّبر حاملُ نفسِه عليه. والصّبور: العظيم الصّبر الَّذى صَبْره أَشدّ من صبر غيره. والصّبَار: الشديد الصّبر، فهذا فى القَدْر والكمّ، والَّذى قبله فى الوصف والكيف"(١).

أهمية الصبر للداعية

تبرز أهمية الصبر للداعية واحتياجه إليه في دعوته إلى الله في ثلاثة أحوال، ذكرها سعيد بن وهف القحطاني، وهي:

الحالة الأولى: قبل الدعوة بتصحيح النية والإخلاص، وتجنب دواعي الرياء والسمعة، وعقد العزم على الوفاء بالواجب.

الحالة الثانية: أثناء الدعوة، فيلازم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية، وعلى حضور القلب بين يدي الله تعالى، ولا ينساه في أمره.

الحالة الثالثة: بعد الدعوة، وذلك من وجوه: الوجه الأول :أن يُصبِّر نفسه عن الإتيان بما يُبطل عمله...الوجه الثاني :أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها، والتكبر، والتعظم بها. الوجه الثالث :أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية(٢).

بينما يرى رمضان فوزي أهمية الصبر للداعية في المجالات الآتية:

الداعية في حاجة للصبر للثبات على مقتضيات الدعوة الإيمانية من صلاة وتلاوة للقرآن وقيام الليل...

الصبر على إصلاح نفسه، وثباته على فضائل الأعمال والأخلاق القويمة باعتباره قدوة وداعية بحاله قبل مقاله.

---

(١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز (٣/٣٧٨).

(٢) سعيد بن وهف، أنواع الصبر ومجالاته (ص٧).

الصبر على تعلم العلم، واكتساب المهارات الدعوية اللازمة لتوصيل رسالته.

الصبر في التعامل مع الناس بمختلف طبائعهم وأخلاقهم وتفاوت استعدادهم للالتزام.

الصبر على الدعوات المناوئة والأفكار الهدامة.

الصبر على تأخر نتيجة الدعوة، وعدم تعجل ثمرتها(١).

الأمور التي يقوم عليها صبر الداعية

صبر الداعية يقوم على أمرَين:

الأول: الأمل في إثمار الدعوة إلى الله، واهتداء الناس بجهد الداعية وإرشاده، وهذا الأمر الأول ثمرة الاستعانة بالله في ذلك المجال، وقوَّة إيمان الداعية؛ بحيث يَصِل في هذا الأمر إلى إحسان الظن بالله، وأنه سيُعينه ويعين المدعو أو المدعوين أمامه إلى الوصول إلى الحق والاهتداء به.

الأمر الثاني : افتراض أن الشر في الناس، وأن المعاصي في الخَلقِ – لا تنفكُّ عنهم ما بقيَت الدنيا وما بقي الناس(٢).

مظاهر الصبر

من أهم مظاهر الصبر التي يجب أن يتحلى بها الداعية؛ الحلم، والأناة، وتفصيل ذلك كالآتي:

أولا: "الحلم"

وهو "ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب"(٣). من مظاهر الصبر الحلم؛ وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته فليحرص على الأسباب التي تدعو

---

(١) رمضان فوزي، الصبر سلاح الداعية، موقع مهارات الداعية الإلكتروني.

(٢) إبراهيم الأهدل، صبر الداعية، موقع شبكة الألوكة.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص١٢٩).

إلى الحلم، فليعمل بها، وهي: "الرحمة بالجهال، القدرة على الانتصار، الترفع عن السباب، الاستهانة بالمسيء، الاستحياء من جزاء الجواب، التفضل على الساب، قطع السباب، الخوف من العقوبة على الجواب، المكر وتوقع الفرص الخفية"[(١)].

وجزاء الحلم كما قال علي رضي الله عنه: "أول عوض الحليم عن حلمه: أن الناس أنصاره على الجاهل"[(٢)].

ثانيا: "الأناة"

وهي" التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ"[(٣)]. فالأناة مظهر من مظاهر الصبر، يستطيع بها الداعية أن يحكم أموره، ويضع الأمور في نصابها، وهو مطالب أن يتخلق بها قولا وفعلا، لأنه إذا أبصر العاقبة أمن الندامة، فقد يصاب بأذى دون أن يعرف مصدره؛ فيستعجل ويسارع فيتهم هذا أو ذاك، فالأمور إما واضحة أو غير واضحة، فالواضحة لا تحتاج إلى تثبت، وغير الواضحة فالداعية في حاجة إلى التبيين والتثبت فيها، وبذلك يتحصل على فوائد كثيرة. قال الشيخ السعدي: " وبذلك يعرف دين العبد وعقله ورزانته"[(٤)].

ما يستثنى فيه الصبر

الصبر وتحمل المشاق من حلل الداعية التي يستعين بها في دعوته، ويتقي بها خواطر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنه يتحتم عليه التخلي عن

(١) سعيد بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله (ص٩٠، ٩١).

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد (١٢٩/٢). وانظر: صالح الشامي، مواعظ الصحابة (ص١٤١).

(٣) عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٣٥٢/٢).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٣٢/٢). وينظر الحكمة في الدعوة إلى الله (ص٩٣- ١٠٠) بتصرف.

تلك الحلل في مواقف تلزمه التصدي لها، والوقوف حيالها موقف الحزم والشدة، من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية، وعدم الانخراط في ثقافات تميع العقيدة، وتذهب بهيبة المسلم، وصلابته في دينه.

من تلك المواقف التي لا يحسن فيها الصبر، إذ الصبر فيها يكون ضرره أكبر من نفعه، تلك الدعوات والصيحات الداعية إلى العولمة، والاندماج والتعايش مع ثقافات الآخرين دون حدود، ولا ضوابط، ومن ذلك أيضا: الدعوة إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاشم، ومنها: الدعوة إلى الدين الإبراهيمي، إلى غير من ذلك من الأمور التي من شأنها طمس الهوية، وتمييع القضية، وذهاب العقيدة، ويصبح المسلم بلا شعار، ويمضي بلا دثار، فالصبر في مثل هذه الأمور ضياع للدين، وعصيان لرب العالمين القائل {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}[النساء: ١٤٠]. قال القشيري: "لا توافقهم فى الحالة، ولا ترد عليهم ببسط القالة. ذرهم ووحشتهم بحسن الإعراض عنهم، والبعد عن الإصغاء إلى تهاويشهم بحسن الانقباض"(١).

وقال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: ٦٨]. قال إسماعيل حقي: "فى الآيات إشارة إلى أنه لا يصلح للطالب الصادق المجالسة مع الذين يخوضون فى أحوال الرجال ولا حظ لهم منها سوى التزيي بزيهم واللبس لخرقتهم؛ لأن الطبع من الطبع يسرق"(٢). فيجب

---

(١) القشيري، لطائف الإشارات (٤٨١/١).

(٢) إسماعيل حقي، روح البيان (٥١/٣).

التصدي لمثل هذه الدعوات والصيحات، حتى لا تدخل الشبهات والشهوات في قلوب شبابنا وبناتنا.

المطلب الثالث: أثر الوصف بالصبر على شخصية الداعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الصبر خلق رفيع جليل، به يأتي الفرج وينال المراد وهو خلق الأنبياء جميعا عليهم السلام، والله عز وجل خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مرات كثيرة موصياً إياه بالصبر، لذا فإن أثره على شخصية الداعية عظيم، ومن تلك الآثار التي يتركها:

يجعل الداعية ضابط النّفس عن السّأم والملل، بعيدا عن العجلة والرّعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادّيّة أو المعنويّة.

يجعل الداعية يتحكم بالغضب والطّيش، لدى مثيرات عوامل الغضب في النّفس، ومحرّضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتّزان في القول أو في العمل.

يورث هداية في قلب الداعية، ويضبط نفسه عن الخوف لدى مثيراته في النّفس، مع قطع ما يثير الطّمع فيها(١).

الصبر مظهر من مظاهر الرّجولة الحقّة، وسبب للتّمكين في الأرض، وعلامة على حسن الخاتمة(٢).

للصبر استثناءات أعذر الشرع المسلم لا سيما القائم بالدعوة في الأمر والنهي صاحبها، ويندرج هذا تحت القاعدة الفقهية القائلة "الضرورات تبيح المحذورات"،

---

(١) عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها (ص٣٠٦- ٣٠٧) بتصرف. وانظر، نضرة النعيم (٢٤٧١/٦).

(٢) نضرة النعيم (٢٤٧١/٦).

ومن أصول هذه القاعدة قوله تعالى {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ}[النحل:١٠٦]، التي نزلت في شأن عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فجعل يمسح الدموع من عينيه، ويقول: «أخذني الكفار ولم يتركوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير» . فقال: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ» ؟ قال: مطمئن بالإيمان. فقال: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»[(١)].

صبر الداعية على المدعوين هو انتظار نضوج الثمرة المغروسة في المدعوين، فمن طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

الصبر يثبت الداعية ولو طال زمن مشاهدة الثمرة خاصة أنه كان من قبله من هو أفضل منه من الأنبياء ولم يؤمن به أحد إلا القليل ولربما الواحد.

من الإشكاليات عند بعض الدعاة في مفهوم الصبر أنه يخلط بينه وبين سوء التخطيط وتغير الأهداف للوصول إلى الغاية، فالاستمرار على نفس المنهج والأهداف، والتقليد وعدم التطور بحجة الصبر هو مضيعة للوقت والجهد وتأخير للدعوة.

**

(١) السمرقندي، بحر العلوم (٢/٢٩٣).

الخاتمة

أهم النتائج

- صفات الداعية هي: " النعوت الحسنة التي تقوم بالقائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، حتى تصير حلية له ويوصف بمكارم الأخلاق".
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أكثر الصور تجليا لمعنى الدعوة إلى الله، وهي شعيرة من شعائر الإسلام التي لا غنى للداعية عنها.
- العلم ملكة مكتسبة للداعية يستطيع من خلالها إدراك الأوامر والنواهي عبر القواعد الشرعية، والأصول المرعية، مراعيا الحال والمآل في ممارسته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- من ثمار أثر الوصف بالعلم على شخصية الداعية: أنه سبب في صحّة الاعتقادات، والعبادات، والتصورات للكون عند الداعية، ففاقد الشيء لا يعطيه.
- الرفق في الدعوة عبارة عن مداراة في التعامل مع الآخرين مع التوسط وحسن انقياد بيسر ولطف ولين جانب بالقول والفعل، مع مراعاة حال المدعو ونوعيته، والبعد عن الإفراط والتفريط فيه.
- من أساليب الاتصاف بالرفق والتي يجب توافرها في الداعية: القدوة، الحكمة، اللين، التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، ترتيب أولويات الدعوة، فقه الواقع، الإعذار إلى الله.
- أعلى مراتب الصبر لدى الداعية الصبرُ على الأذى الناتج عن المهمة الدعوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الصبر هو حكمة الداعية في انتظار نضوج الثمرة وعدم الاستعجال عليها؛ لأنه سيفسدها، فالصبر كمال نضوج.

- ترتيب أوصاف الداعية التي تعد ركائز أساسية له (العلم، الرفق، الصبر) عند ابن تيمية ترتيب مقصود له أثر على كمال مهمة الأمر والنهي، لمن أراد أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قبل وأثناء وبعد تلك المهمة.

أهم التوصيات

- حث المفكرين والباحثين على البحث العلمي في مجال الدعوة تأسيا بعلم الفقه، وزيادة الاهتمام بذلك تأصيلا وتدقيقا.
- إعداد البرامج التكاملية التي تصنع الدعاة والتي تحقق الحد الأدنى من جانب العلم الشرعي لدى الداعية ومعرفة مواطن الخلاف للتقليل من التعصبات والتحيزات للآراء المختلف عليها وزيادة الأعذار للناس .
- اهتمام المؤسسات الدعوية بتدريب الدعاة على قيمة الرفق والصبر مع المدعوين.
- اهتمام وزارة الأوقاف الكويتية ووزارة التربية بقيمة العلم والرفق والصبر في مناهجهم التدريسية.
- اهتمام الدعاة بالوسائل الحديثة وباللغات الأجنبية ووسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام، فهي علوم ووسائل مهمة للدعوة، بل أصبحت من الضروريات للقيام بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، (د.ط).
- ابن القيم، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، مدارج السالكين من منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)، لمحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى.
- ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (د،ط).
- ابن تيمية، ١٤١٨هـ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ١٤٠٣هـ، الاستقامة، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، (د.ط).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (د.ت)، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي..
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (د.ت)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ط).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، معجم اللغة العربية، عالم الكتب، الطبعة: الأولى.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، (د.م)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (د.ت)، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح بمصر، (د،ط).
- تقي الدين السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة.
- سعدى أبو حبيب، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، القاموس الفقهي، دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية.
- سلمان العودة، صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، موقع صيد الفوائد.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، أدب الطلب ومنهى الأدب، المحقق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى.
- صالح أحمد الشامي، (د.ت)، مواعظ الصحابة، المكتب الإسلامي، (د.م)، (د.ط).
- الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، شرح مختصر الروضة، المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (د.م) الطبعة : الأولى.
- عبد الكريم زيدان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، أصول الدعوة إلى الله، مؤسسة الرسالة، (د.م) الطبعة: التاسعة .
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، (د.ت)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ط).
- الغزالي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، المستصفى،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (د.ت)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، (د.ط).

- الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، شرح الكوكب المنير، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية.
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (د.ت)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
- الكاتب، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، (د.ت)، مفاتيح العلوم، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.
- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل. دار الرسالة العالمية–بيروت، الطبعة:٣، ٢٠١٦م.
- محمد عبدالرحمن الراوي، ١٩٦٥م، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، الدار القومية للطباعة والنشر.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (د.ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ١٣٩٢هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية.
- الهروي، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى.

* * *